

اللغة ومركزية الأنثى عند شاعرات العصر العباسي الأول

بشائر أمير عبد السادة فرح حامد حمزة

قسم اللغة العربية/كلية التربية للعلوم الإنسانية/جامعة بابل

alftlawybs Shayr@gmail.com

معلومات البحث
تاريخ الاستلام: 2019 / 9 / 18
تاريخ قبول النشر: 2019 / 10 / 10
تاريخ النشر: 2020 / 1 / 2

الخلاصة

يناقش هذا البحث التحولات التي طرأت على المرأة ودخولها في خانة الثقافي وتحولها عن الطبيعي الذي نشأت عليه أجاز لها أن تصبح في عالم مواز يجسد هيمنتها وتغلبها على الواقع الذي طالما فرض عليها أن تكون مهمشة وخاضعة لإرادة الرجل. وبما أن الدخول إلى عالم الشعر والكتابة يعني التعبير عن أفق أوسع للحرية فهي أرادت أن تحقق توازنها المفقود بين ذاتها الداخلية وذاتها الخارجية، بين ما ترغب بإعلانه وبين ذلك المسكوت عنه عبر لغتها الأنثوية. وقد قسم هذا البحث إلى قسمين: القسم الأول مثل الجانب النظري والقسم الثاني مثل الجانب التطبيقي بأخذ نماذج من أشعار شاعرات العصر العباسي الأول وتحليلها على وفق السيميائية الثقافية. إذ عن طريق اللغة استطاعت المرأة الخروج عن السائد فهي لطالما كانت مقيدة بقيود مجتمعية فعند دخولها عالم الشعر ومحاولة استعمالها المعاني الأنثوية أصبحت لها القدرة في التعبير عن ذات أنثوية لها رأي ووجود في هذا العصر.

الكلمات الدالة: اللغة، المركزية، الأنثى

Language and the Centrality of Women by the Poetesses of the First Abbasid Era

Bashaer Ameer Abdul Sada Alftlawy Farah Hamed Hamza Alshammari

Department of Arabic Language/College of Education for Human Sciences/

University of Babylon/Babylon/ Iraq

Abstract

This paper discusses the transformations that have taken place in women and their entry into the cultural life and their transformation from nature which has allowed them to become in a parallel world embodying their dominance and overcoming the reality that has long been marginalized and subject to the will of men. Women's entering of the world of poetry and writing reflects a broader horizon of freedom, women wanted to achieve their lost balance between their inner self and external self, between what she wished to proclaim and the untold story through her feminine language. The paper then discusses the practical aspect by taking samples of the poems of the first Abbasid poets and analyzing them according to cultural semiotics. Through language, women were able to deviate from the mainstream which was always limited by societal constraints when entering the world of poetry and try to employ feminist meanings.

Keywords : Language, Centrality, women

1- المقدمة

إن المنظومة الاجتماعية والثقافية الفكرية للمجتمع في حالة تغير مستمر بفعل مؤثرات خارجية وثقافات متداخلة وعوامل أخرى فطرية، كان لها القابلية على التغيير والتبدل وبما إن المجتمع العباسي قد مرّ بمرحلتي انفتاح حضاري وثقافي كبيرين، كان لا بد له أن يمر بمرحلة تحول من الطبيعي إلى الثقافي ولعل المرأة الشاعرة والكاتبة في هذا العصر كان لها أثر فاعل في هذا التحول، إذ أخذت المرأة دوراً بارزاً في الحياة الأدبية ولعل الفضل في ذلك يعود إلى البيئة التي عاشت فيها حيث ظهرت أسماء بارزة للمرأة الحرة منها عليّة بن المهدي، ومن الجوّاري عنان الناطفي، لذا أرادت المرأة التحرر بعض الشيء من لغة الرجل، ورغبت بلغة خاصة تصحح بها عن ذاتها فلم يعدّ الرجل يتكلم عنها وإنما أصبحت هي من تعبر عن ذاتها، عن طريق لغة شعرية أنثوية خالصة.

2- المحور الأول: الجانب النظري

اللغة ومركزية الأنثى

تعد اللغة من أهم وسائل التفاهم والتحاور بين الأفراد، وهي جزء من السلوك الفردي الذي يميز الإنسان الفرد، ويكتسبها منذ الطفولة في إطار العلاقة بين المثير والاستجابة، وقد ارتبطت اللغة بمفهوم اجتماعي وتكونت في أحضان المجتمع ووجدت يوم أحس الناس بالحاجة إلى التفاهم فيما بينهم [37-36،1].

وبما أن المجتمعات اللغوية التي أخذت عنها اللغة كانت تعلي من شأن الرجل، وتقل من قيمة الأنثى نتيجة للمعطيات الثقافية السائدة، لذا أخذت هذه المسألة تنعكس على اللغة، التي هي وعاء الفكر ووسيلة الاتصال بين الناس [3،2]، فاللغة تصف المذكر بأنه عمدة الجنس، والمؤنث فرع، وهو محمول على المذكر، على أساس أن المذكر هو أصل الخليفة، والأنثى ثان مجترح من المذكر، إذ ليس للتذكير علامة لأنه الأصل، وهو الأول، وإنما ألحقوا للمؤنث علامة في الأغلب لأنه فرع من التذكير [54،3].

أما الغدّامي فيرى أن ((الشرط الثقافي قسّم العقل واللغة وجعلها للرجل، أما الأنوثة فهي مجرد جسد يستقبل اللغة ويخضع لها من جهة ويرسل علامات صامتة مشفرة لكي يتولى الرجل فك الشفرات ويفسر العلامات، ودائماً ما يكون التشفير والألغاز شرطاً في لغة المرأة)) [64،4].

وعن تحيز اللغة للمذكر يظهر الغدّامي بعض الأدلة من الحياة العملية، وفي العمل الوظيفي وأسماء المناصب، فيحكم الغالبية التي يتأثر بها الرجال، تدخل المرأة في سياق التذكير، فهي ((عضو)) و((محاضر)) و((أستاذ مساعد))، وهو ليس من الأمور الجديدة فقد كانت العرب تقول ((أميرنا امرأة وفلانة وصي فلان ووكيل فلان... لأنه إنما يكون في الرجال دون النساء أكثر ما يكون، فلما احتاجوا إليه في النساء أجروه على الأكثر من موضعيه [55،5]، وبذلك يستنتج الغدّامي أن التذكير هو الأصل والتأنيث فرع منه، وأن التذكير هو أصل الفصاحة ومثاله الذي تمثّل به للدلالة على فصاحة التذكير، هو كلمة (زوج) من دون تاء التأنيث للتعبير بها عن المرأة [21،6]، فالجنس البشري بشكليته المؤنث والمذكر قد أسهما في إنتاج اللغة وتوظيفها، أما من حيث الكتابة فالشاهد التاريخي يشير إلى أن الرجل هو سيد الكتابة، ولا يحفظ لنا التاريخ أية أمثلة عن وجود نسوي فاعل مع اللغة المكتوبة [27،6].

لهذا تظهر المرأة وكأنها كائن طبيعي مطلق الدلالة، وتام الوجود، من حيث الأصل ولكنها تحولت بفعل الحضارة والتأريخ إلى ((كائن ثقافي)) جرى استلابها وبخس حقوقها لتكون ذات دلالة محددة ونمطية، ليست جوهرًا وليست ذاتًا وإنما هي مجموعة صفات، أما الدين بوصفه وحياً منزلاً وبوصفه دين الفطرة

يعطي المرأة حقها الطبيعي، ولكن الثقافة بوصفها صناعة بشرية ((ذكورية)) تبخس المرأة حقها ذلك وتحيلها إلى كائن ثقافي مستلب [17:6].

ومن المفارقة ان بعض الدراسات النسوية الانجلو - امريكية المبكرة عن لغة المرأة كانت تتحيز للغة الرجل ايضاً إذعدت (لاكوف) ان لغة الرجل هي المعيار الذي لا ترقى إليه المرأة، فالطريقة التي تستعمل المرأة بها بعض الصيغ اللغوية مثل تعابير التحوط مثل (كما تعلم) او (التلطف المجازي)، تدل على القلق ونقص الثقة والضعف، ولكن هذا القول يمكن تفنيده على أساس الانتباه إلى مجموعة من الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه الصيغ. [212:7] على وفق ثقافة المرأة وقابليتها في التعبير عن ذاتها .

ويمثل ((إسهام المرأة في اللغة هو الحفاظ على نقائها، من خلال نأيها بحكم غريزتها عن التعبير الفظ والسوقي، أما إسهام الرجل فيتنسم بالعنفوان والخيال والإبداع)) [210:7].

لهذا فالآراء مختلفة حول هل تمتلك المرأة لغة خاصة بها أم لا؟ إن طبيعة المرأة وما ترسب في تفكيرها بشكل خاص منذ مرحلة الطفولة يجعل لها لغة خاصة بها لها سماتها وجمالياتها (المخبوءة) والكشف عما تتمتع به من لغة خاصة يحتاج إلى تحرر من خوفها وحيائها، يعني أن العامل الثقافي والاجتماعي هو الحائل بين المرأة وبين وصولها إلى تحقيق ذاتها، من اللغة والأدب الخاص بها [78:8].

فالسوك اللغوي للجنسين يتباين تبعاً للأثر الاجتماعي الممارس على الجنسين فالمجتمعات التي تضرب حجبها على الأنثى، يزداد فيها التباين بين لغة الأنثى ولغة الرجل فتصبح للأنثى ألفاظها وموضوعاتها واستعمالها اللغوي الذي يميزها عن الذكر، أما المجتمعات التي تتيح لكلا الجنسين التفاعل والاختلاط فان السلوك اللغوي يجتمع في شكل الخطاب، واختيار المفردات، بل قد يقارب في الأداء اللغوي [40:3].

لهذا فالأنثى حين تتمتع بحرية الخطاب، وتنوع الاستعمال بما يوائم الدور المنوط بها فإنه سيغني معجمها الذهني ويتنوع وهذا يؤكد قوة الخطاب بروافد الحضور [40:3].

فالثقافة تؤثر بدورها على استعمال اللغة المطبوعة، فهي التي تمنح اللغة المطبوعة بعداً اجتماعياً، وتمنح الأعراف الاجتماعية الثقافية النص جواز المرور إلى القارئ، فالمهم ليس ما نكتبه أو لمن أو في أي ظرف ولكن المهم هو نوع النص الذي نقدمه [19:9]، ((فاللغة وثيقة الصلة بثقافة الحاضر وثقافة الماضي وثقافة الخيال أو أعمال الخيال التي تحكم قرارات الناس وأفعالهم تجاه المستقبل بطريقة تفوق التصور)) [23:9].

فحينما أصبحت المرأة تمارس الكتابة والخطاب، أصبحنا أمام نقلة نوعية في مسألة الإفصاح عن الأنثى، إذ لم يعد الرجل هو المتكلم عنها والمفصح عن حقيقتها وصفاتها، ولكن المرأة صارت تتكلم وتفصح وتشهر عن إفصاحها هذا بوساطة اللغة التي عدت من صفات الفحولة، حيث أصبحت اللغة مجالاً للأنوثة بإزاء الفحولة، فحينما نترك المجال لصوت المرأة كي يتكلم ويعبر فإننا بهذا نضيف صوتاً جديداً إلى اللغة، صوتاً مختلفاً [6، 8-9].

حتى أن هناك من أعتقد أن اللغة نتاج خاص بالمرأة ذلك إنها كانت أكثر استقراراً وأكثر قدرة على التواصل مع الطبيعة ما جعلهم يسندون للمرأة مهمة اكتشاف النشاطات الإنسانية الأولى كالزراعة وإنتاج اللغة، أما الرجل حيث أستقر وأسس نظامه قد مارس نوعاً من التحوير للأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية واللغوية حول فيها اللغة من أداة للتواصل إلى جهاز معرفي ذكوري تلتبس فيه المرأة بمواصفات يفرضها عليها الآخر الرجل [10].

فالمرأة تظهر أكثر حساسية تجاه الأشياء فتحاول بفطرتها والخبرة التي اكتسبتها من العالم المحيط سبر اغوار الحياة المعيشة واكتشاف معانيها والتعبير عنها وهذا الامر لا يتم الا عبر الاداة التي تتوسط بين المبدع والعالم اي اللغة، والمرأة الشاعرة اذ تعبر عن ذلك تكون مشروطة بمحيطها الشعري وموروثها الحضاري [11] ، فشاعرة العصر العباسي الاول_ الذي اخذت فيه اللغة ((تتمشى مع روح العصر وتساير التطور الحضاري الجديد)) [12:187] _ حاولت توظيف خبرتها الثقافية وطبيعتها الانثوية للتعبير عن رؤاها الخاصة تجاه الاشياء بلغة انثوية تارة وتارة نجدتها تتخفى خلف اللغة الذكورية لغايات واسباب خاصة سنحاول توضيحها عبر النصوص المنتقاة، وتارة تخرج من بوتقة الرجل ولغته السائدة الى لغة رمزية اشارية لا يمكن سبر اغوارها وفك رموزها الا لمن عاش نفس التجربة، وهذا ما سنتحدث عنه عند شاعرات التصوف امثال رابعة العدوية، وريحانة.

3-المحور التطبيقي/ في ما يأتي سنوضح كيف استطاعت المرأة الشاعرة التعبير عن رؤاها الخاصة تجاه الاشياء بلغة تتلاءم وطبيعة الثقافة الخاصة بالمرأة الشاعرة، وعلى وفق التقسيم السابق.

فالشاعرة عائشة بنت الخليفة المعتصم محمد بن هارون العباسي، تكتب بلغة شعرية جديدة تبدو جريئة فيها

إذ كتب لها عيسى بن القاسم يطلب جاريته :-

كَتَبْتُ إِلَيْكَ وَأَنْتَ أَحْتَشِمُ وَشَوْقُ الْمُحِبِّينَ لَا يَنْكَتِمُ

صَبُوحِي فِي السَّبْتِ مِنْ عَادَتِي عَلَى رَغَمِ أَنْفِ الَّذِي قَدْ زَعَمَ

وَعَيْشِي يَتِمُّ بِمَنْ تَعَلَّمِينَ وَإِنْ غَابَ عَنِ نَظَرِي لَمْ يَتَمَّ

فَمُنِّيَ عَلَيَّ بِتَرْبَةِ سَيْدِكَ الْمَعْتَصِمِ

فما كان منها إلا أن ردت عليه وكتبت :-

قَرَأْتُ كِتَابَكَ فِيمَا سَأَلْتُكَ الْمَلِيحَةَ فَمِثْلِي حَمَلَةٌ

لَت ، وَمَا أَنْتَ عِنْدِي بِالْمَتَمِّ مِنَ النُّورِ تَجْلِي سَوَادِ الظُّلَمِ

فَخَذَهَا هَنِيئًا كَمَا قَدْ سَأَلْتَ وَلَا تَشْكُ شَكْوَى امْرِئٍ قَدْ ظَلَمَ

كَمَا يَفْعَلُ الرَّجُلُ الْمُغْتَنِمُ [13:246]

يبني النص على لغة انثوية فاعلة تحاول ان تنصدر القرار وتتسيد الموقف مع المحافظة على الثقافة الطبيعية للجواري، فالسائل يطلب منها جاريته وهو أمر طبيعي، فتدرد عليه بلغة ثقافية _ اي تصيح المرأة هي صاحبة القرار واللغة _ موظفة فيها ضمير المتكلمة المؤنث في قولها: (قرأت، عندي) وهي الصفة الفارقة بين شعر المرأة والرجل، و عمدت ايضاً الى توظيف فعل الامر (خذها) واسلوب النهي (لا تشك، ولا تحسنها) مخاطبه بها الرجل بطريقة فيها نوع من القوة والتحكم لكي يكون خاضعاً لأوامرها، وموافقاً على شروطها وملتزمًا بها، إن هذا الصراع في الألفاظ يؤكد رغبة الشاعرة في إبراز ذاتها للانشقاق عن سلطة الرجل والظهور في المجتمع عبر لغتها وفعالها لتعطي لنفسها كياناً مستقلاً.

ومن جانب آخر حاولت الشاعرة اظهار جمال جاريته امام سلطة الرجل المطالب بها فوصفتها بالمليحة إشارة لجمالها ووسامتها الطبيعيين، ولكي تمزج بين الطبيعي والثقافي وظفت الصورة التشبيهية لبيان

جمال ثوبها الذي يذهب نوره سواد الظلام، يمكن القول ان النص الانثوي عمل خلخلة في الثقافة المهيمنة وان كان حدوثها في إطار ضمني، وفيها ارضاء للمرأة الحرة المتحكمة على مكانة المرأة الجارية. اما عليّة بنت المهدي فقد وضّقت الكناية للتعبير عن حبها لخادمها رشاً، قالت:

القلبُ مشِـتاقٌ إلى ريبٍ ياربُّ ما هذا من العيبِ
 قد تيمتُّ قلبي فلم أستطعُ إلا البُكا يا عالم الغيبِ
 خبأتُ في شعري ذكراً الذي أردتُهُ كالحبِّ في الجيبِ [41، 14]

يمكن القول إن "عليّة" في هذه الأبيات عبرت عن الواقع الذي تعيشه المرأة في هذا العصر فبعضه ايجابي وبعضه سلبي، الايجابي هو أن المرأة امتلكت الشجاعة في البوح عن مشاعرها لمن أحبته من خدامها وبما إنها تملك مكانة مرموقة في القصر العباسي استطاعت أن تضرب المركز وتضرب المقدس الذي يشير إلى أن المرأة لا يمكن لها أن تحب وتمارس الحب وخاصة المرأة الحرة وهذا ما نقله ابن رشيق القيرواني في كتابه: ((العادة عند العرب أن الشاعر هو المتغزل المتماوت، وعادة العجم أن يجعلوا المرأة هي الطالبة والراغبة المخاطبة، وهذا دليل كرم النجيزة في العرب وغيرتها على الحرم)) [15، 124] ، فتغزل المرأة بالرجل هو من الثقافة الوافدة وليس من ثقافة العرب، لذا مثل قول "عليّة" ضرباً للطبيعي وفطري عند العرب، ومارست ما هو ممنوع على الحرائر، والجانب الآخر السلبي هو رؤية المجتمع والتقاليد الموجودة التي منعتها من التغزل والبوح باسم الحبيب لذا وظفت اللغة لتواري اسمه خوفاً من نظرة المجتمع لها، ولعله خوفاً من ابعادها عن حبيبها، بدا صوت المرأة وان كان خائفاً مما هو طبيعي وفطري في المجتمع الا انه رافض ضمناً لهذا الامر ولعل قول الشاعرة (يا رب ما هذا من العيب)، ضرباً للثابت عند العرب، فهو تحوّل من الطبيعي (القيمي) في الثقافة العربية الى الثقافي المتأنت من التمازج بغير العرب.

وتستعير الانثى ضمير المتكلم (الرجل) لتعبر عما تريد، فرفض المجتمع لرغبتها لم يمنحها بالبوح بحبها الا ان هذا البوح جاء مغلفاً بلغة ذكورية للتمويه، فعلى الرغم من الرأي القائل ان ((المرأة مسكونة دوماً بهاجس إرضاء السائد، وتجنب الانتقاد)) [3، 41]، الا ان هذا الامر لا يمنع من تحقيق رغباتها عبر الحيلة في توظيف اللغة، قالت عليّة:

ما زلتُ منذ دخلتُ القصرَ في كربٍ أهذي بِذِكْرِكَ صَبّاً لَسْتُ أَنْسَاكِ
 لا تحسبيني وإن حجابُ قـصركمُ سدّوا الحجابَ وحالوا دون رؤياكِ
 أني تغيّرتُ عما كنتُ ياسكني أيّامَ كنتُ إذا ما شئتُ ألقاكِ
 لكن حُبُّك أبلائي وعذبتي وأنت في راحة طوباكِ طوباكِ [14، 45]

فهي هنا تتحدث على لسان الحبيب وشوقه لها وعدم تمكنه من رؤيتها لوجودهما في قصر الخلافة، وهذا ما يشكل خطراً عليه بوصفها سيدة من سيدات القصر لا يجوز التغزل بها، فهي أرادت أن تثبت لنا مكانتها في الخلافة التي تتمتع بها عبر اللغة وكيفية تحويل الخطاب من لسانها الى لسان الآخر الذي أصبح متغزلاً بها متعذباً في حبها، فأصبحت مالكة السلطة التي تتحكم بقلب الرجل ومشاعره فأصبحت هي الذات العليا التي يتطلع الآخر لكسب حبها.

ونلاحظ أيضاً الشعر الذي يأتي على لسان المرأة الحرة يضم بعض المفارقات ، ففي بعض الأحيان تعبر عن الحب والكره بلغة مباشرة من دون قيد أو خوف من المجتمع الذي تعيش فيه وفي بعض الأحيان ((تختفي وراء الرجل لتفصح عن شعورها وتعبر عن هواها خوفاً من تقاليد المجتمع التي لا تسمح للمرأة بالتعبير عن عواطفها)) [16، 119-120]، لذا تختبئ خلف اللغة الذكورية للتعبير عما يجيش في صدرها.

ومن الأمثلة الأخرى ما روي عن رزين العروضي قال أصبحت مخموراً، فتفكرت فيمن أنس به فذكرت "عنان" فاستأذنت عليها، فإذا عندها أعرابي فقالت: يا عم إن هذا الأعرابي قصدي، فقال قد بلغني أنك شاعرة فقولني حتى أجزى فقلت :

لَقَدْ قَلَّ الْعَزَاءُ وَعَيْلَ صَبْرِي عَشِيَّةَ عَيْسَهُمْ لِلْبَيْنِ زُمَّتْ

قال الأعرابي :

نَظَرْتُ إِلَيَّ أَوْ أَلْهَنَ صَبْحًا وَقَدْ رُفِعَتْ لَهَا حُدُجُ فَحَنَّتْ

قالت عنان :

كَتَمْتُ هَوَاهُمْ فِي الصَّدْرِ مَنِي وَلَكِنَّ الدُّمُوعَ عَلَيَّ نَمَّتْ

قال الأعرابي: أنت أشعرنا ، لولا أنك حرمة لقبلتك [17، 18-19].

نلاحظ في إجازة عنان للشاعرين ، الرقة الأنثوية في وصف مشاعر الحب حيث الكتمان وهو صفة أنثوية خاصة بالمرأة تكتم حبها للرجل ولا تبوح به أمام الناس والمجتمع ، لكن دموعها هنا هي التي فضحت هذا الحب .

إذ نجد إن خطاب الأنثى يتسم بالرقة والعموية والإحساس المرهف الذي عبرت عنه بالأفاز لغوية رقيقة (الدموع، الهوى، الكتمان)، اختلفت عن خطاب الرجل الذي يتسم بالجهر والإعلان لمشاعره مع من يحب فالرجل لا يستطيع الصبر والكتمان كما تفعل المرأة.

فهي من حيث الألفاظ الرقيقة والوصف المرهف أصبحت أشعرهم في الوصف الحقيقي للمشاعر بدليل أن الأعرابي أعجب بها وأراد تقبيلها لولا أنها امرأة فهي بهذا أصبح لها مركز بين هؤلاء الرجال ، عن طريق توظيفها اللغة ولكن بطريقة اختلفت عن الذكورية على الرغم من أن ((اللغة تاريخياً و واقعياً كانت مؤسسة ذكورية، وهي أحدى قلاع الرجل الحصينة وهذا يعني حرمان المرأة ومنعها دخول هذه المؤسسة الخاصة بالرجل)) [6، 111]، الا انها استطاعت برهافة حسها وقوة ارادتها أن تحول هذه اللغة من لغة طبيعية خاصة بالرجل إلى لغة ثقافية، والدخول إلى هذه البنية الثقافية واحتلال مركز مهم فيها .

ولم يقتصر دور المرأة الشاعرة في التعبير عن عاطفتها إذ نجدها الناقدة للأوضاع الاجتماعية التي لا تروقها وان كان انتقادها مفرداً وبسيطاً الا انها استطاعت البوح بما يؤذيها من المجتمع وتقاليد، قالت احدى الاعرابيات وقد ارغمت على الزواج من رجل كبير السن فقط لانه من قرابتها:

أَيَا عَجْبِي لِلْخُودِ يَجْرِي وَشَاحِهَا تَزْفُ إِلَى شَيْخٍ مِنَ الْقَوْمِ تَنْبَالِ

دَعَاهَا إِلَيْهِ أَنَّهُ ذُو قَرَابَةٍ فَوَيْلُ الْغَوَانِي مِنْ بَنِي الْعَمِّ وَالْخَالِ [18، 106]

للنص اهمية في اظهار حاجة من حاجات المرأة وهم من همومها تكشفه لغة الشاعرة الانثوية، وما تتمتع به من جرأة في انتقاد زوجها من رجل كبير السن قصير القامة فقط لتستجيب لأعراف المجتمع

وقوانينه، فهي عن طريق خطابها اللغوي ارادت أن تعبر كأنثى لها حق في الاختيار مثلما الرجل له حق كذلك، ويمكن القول ان المرأة بانتقادها للأعراف السائدة تحاول ان تكون ((طرفاً مشاركاً في الحياة العامة والعملية والثقافية في آن واحد، دون حساسيات موروثية وتصنيفات جنسانية ودون أنانية فالمرأة لها كيانها ودورها، وليست أداة متعة ومعملاً للتفريخ والمحافظة على النوع البشري فقط))^[9، 19].

ومن الامور الاخرى التي رفضتها المرأة في شعرها تدليس الخطاب وخذاعهم للنساء للزواج بهن، فمما يروى ان ابراهيم الموصلی انشد شعراً لأم ظبية في ابنة عم لها يقال لها أم حيدر زوّجت ابنة لها برجل قبيح المنظر:

لقد دأس الخطّابُ يا أم حيدر لكم في سواد الليلِ إحدى العظام
ألم تنظري حييت يا أم حيدر إلى وجهه أو تحدره في القوائم [18، 102]

ثم نظرت الى الرجل فقالت: قبح الله الطلعة، ثم قالت:

وإن أناساً زوجوك فتاتهم نجد حراساً أن يكون لها بعل [18، 103]

يتحرك النص الشعري على وفق رؤية انثوية في قضية مهمة تمس حياتها ومستقبلها، فالشاعرة تنتقد عن طريق لغتها الشعرية ظاهرة مجتمعية أخرى وهي خداع الرجل للمرأة وإجبارها من الأهل على الزواج بقبيح الشكل، فأسلوبها ولغتها في الخطاب اختلفا عن أسلوب الرجل والقضية التي أرادت انتقادها أمر خاص بالأنثى وبحقوقها، يمكن القول هنا إن الشاعرة أحدثت خلخلة في المنظومة اللغوية والفنية والثقافية التي شكّلها الرجل، يعود ذلك الى ما تملكه المرأة من خصوصية في الجانب العاطفي والنفسي، إذ يعجز الرجل وأن تعددت مواهبه وقدراته في التعبير عن عواطف المرأة كما تفعل المرأة عن المرأة^[20، 39-40].

وتؤكد المرأة موقفها من الرجل عبر الدعاء عليه بقولها: (قبح الله الطلعة)، لتكمل خطابها معه عبر انتقاد اهل الفتاة المتمسكين بالعادات والتقاليد التي طبعت في قلوبهم وعقولهم التي ترمي الى تزويج الفتاة من دون مراعاة الجوانب النفسية والعاطفية لها، فالشاعرة عبر هذا النص حاولت ايصال صوتها الى الآخر الرجل والمجتمع لعلها تمنع مثل هذه الظاهرة والعادات البائدة.

اما الشاعرات المتصوفات فقد خرجن باللغة الصريحة الى اللغة الموحية للتعبير عن رؤاهن ورغباتهن وتطلعهن للمستقبل، فاذا كانت شاعرات العصر العباسي من غير المتصوفات يرغبن بالحياة ويحلمن بالعيش الرغيد ومتع الدنيا، فإن هذه الفئة من الشاعرات رغبن عن الدنيا وما فيها، قالت ربحانة:

صبرتُ عن اللذاتِ حتى تولتِ وألزمتُ نفسي صبرها فاستمرت
وما النفسُ إلا حيثُ يجعلها الفتى فإن أطمعتُ تأقتُ وإلا تسلتُ [21، 279-280]

خرجت الشاعرة عن النسق الثقافي العام والسائد في المجتمع العباسي وتكلمت بطريقة أنثوية رافضة ما أنتشر فيه من لهو ومجون، فدلالة الألفاظ (صبرت، ألزمت) دلت على القوة الداخلية التي تملكها المرأة وصبرها عن ملذات الحياة على عكس ما هو سائد لدى المرأة وخاصة الجارية من حب للتجمل والاختلاط بالآخر إذ أدى ((شيوع اللهو والعبث والمجون والزندقة إلى ظهور حركة مضادة تسير في خط مغاير تدعو إلى التقوى وتحقّر المال في الدنيا))^[22، 304].

والشاعرة العباسية تحاول ان تجاري شعراء عصرها وثقافتهم فكما كان ابوتامم وابن الرومي يوظفون الحكم والادلة المنطقية في اشعارهم^[23، 76]، كذلك هي عمدت الى توظيفها في شعرها فقولها:

وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى
فإن أطمعت تأقت وإلا تسلت^[21، 280]

فيه حكمة بالغة مصاغة على وفق دليل منطقي عقلي فالإنسان هو المتحكم بنفسه لا العكس فاذا ما وضعها للشهوات جنحت لها، وان منعها منها خضعت وتسلت، ونلاحظ هنا ان دلالة الخطاب ليس خاصاً بل عاماً ففيه نظرة دينية واضحة لما يمكن ان يفعله الانسان بنفسه ان استسلم لنزعاتها، ان تحديد اسلوب النص مرتبط بشكل كبير بمتلقيه فرغبة الشاعرة في ان تكون ناصحة ومرشدة هو الذي ادى الى توظيفها ((الأسلوب الذي يفهمونه مستعملة فيه الألفاظ والصور التي يألفونها هذا ما يجعل الموضوع وسيلة لتحديد الأسلوب))^[22].

[114]

وتجد رابعة العدوية راحتها في خلوتها مع الله متهجدة عابدة قالت:

راحتي يا إخوتي في خلوتي
وحبيبي دائماً في حضرتي
لم أجد لي عن هواه عوضاً
وهواه في البرايا محنتي
حيثما كنت أشاهد حسنه
فهو محرابي إليه قبلي^[24، 153]

مثلت رابعة العدوية خروجاً عما هو طبيعي ومألوف للجواري فشعرها يعدّ نزوعاً نحو الذات الالهية والحب المطلق ابتعاداً منها عن ملذات الدنيا وزخرفها فلغتها هي تعبير واضح عما تريده كأنثى لها كيانها واستقلالها الذاتي لذا جاء خطابها بشكل علني عبر توظيف اسلوب النداء، ولعل في لفظة (إخوتي) بعداً ثقافياً مقصوداً تعلن عبره عدم رغبتها بالاقتران، للتوجه بحبها وراحتها الى الله وحده فشعر رابعة العدوية كان ((وليد التأمل والنضج الفكري والتقدم في الثقافة، والتأثر بالحياة الدينية فقد نذرت حياتها لحب الله))^[25، 126]، ما يدل على قوة وضبط النفس التي تمتعت بها هذه المرأة مختلفة عن بقية نساء عصرها اللاتي ألتهن ملذات الحياة.

من هذا نستنتج أن المرأة استطاعت الخروج بعض الشيء من القيود التي كانت مكبلة بها وحاولت عبر اللغة إنتاج منظومة قيمية جديدة تضمن لها حقوقها، لأنها وجدت أن المنظومة القيمية التي شرعتها السلطة غير قادرة على إعطائها حقها، فهي عبر اللغة مارست نوعاً من الحرية، بفعل الكتابة الشعرية واستعمال المعاني الأنثوية للتعبير عن ذاتها ((فقد كتبت المرأة وأوقدت ذاتها لتفجر المكبوت والمخفي والمتراكم عبر الزمن لتعلنه صراحة في حوارها أو صراعها مع الرجل))^[26، 2]، اذ قدمت من هذه الكتابة واللغة التي جاءت بها قيماً جديدة فلم تعد اللغة نتاجاً خاصاً بالذكر، فقد استطاعت الانثى عبر اللغة الدفاع ((عن ذات مهمشة مقهورة مكبلة بإرث ضخم من المحرم والممنوع فرضه عليها الرجل عبر عصور من التسلط والاستبداد))^[26، 1]، من هذا أصبح لها سلطة ودور في الحياة والمجتمع العباسي عبر الأدوار التي قامت بها كأم وزوجة وابنة وكاتبة و مثقفة وسياسية ... الخ .

4-الخاتمة

- استطاعت الشاعرة العباسية عن طريق اللغة التعبير عن ذاتها من دون أن يعبر عنها الآخر، فقد أصبحت لها لغة خاصة تفصح بها عما في داخلها، والخروج عن السائد في المجتمع، إذ قدمت عبر اللغة الأنثوية قيما جديدة مختلفة عن القيم الطبيعية الموروثة
- لم تعد اللغة نتاجا خاصا بالرجل اذ حاولت الشاعرة العباسية جعلها نتاجا مشتركا عبرت بها عن ذاتها المهمشة بفعل الثقافة الذكورية.
- أصبح للمرأة بفعل اللغة الانثوية دور مهم في المجتمع العباسي عبر الأدوار المتعددة التي قامت بها.
- حاولت الشاعرة العباسية -عبر اللغة -إنتاج منظومة قيمية جديدة تضمن لها حقوقها، لأنها وجدت أن المنظومة القيمية التي شرعتها السلطة غير قادرة على إعطائها حقها، فهي عبر اللغة مارست نوعاً من الحرية، بفعل الكتابة الشعرية واستعمال المعاني الأنثوية للتعبير عن ذاتها.
- رفضت الشاعرة الصوفية لغة اللهو والمجون واستعارت بدلا منها لغة العشق الالهي لتنتقل من الملذات الدنيوية التي اجبرت عليها المرأة الجارية الى الذات العليا، معبرة عن رفضها وعدم استسلامها للسائد في هذا العصر.

CONFLICT OF INTERESTS

There are no conflicts of interest

5- المصادر:

- 1- د.زكي حسام الدين، (اللغة والثقافة)، ط1، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، 1990م: 36-37.
- 2 - د.عبد الفتاح الحموز، (ظاهرة التغليب في العربية، ظاهرة لغوية اجتماعية)، جامعة مؤتة، ط1، 1993م: 3.
- 3- د عيسى برهومة،(اللغة والجنس،حفريات لغوية في الذكورة والانوثة)، ط1، دار الشروق ، عمان - الأردن، 2002: 40،41،54.
- 4 - عبد الله الغدّامي،(المرأة واللغة، ثقافة الوهم (مقاربات حول المرأة والجسد واللغة)، ط1، المركز الثقافي العربي،بيروت، 1998 : 64.
- 5- يحيى بن زكريا الفراء، تح: د. رمضان عبد التواب،(المذكر والمؤنث)، ط2، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1989م: 55.
- 6- عبد الله محمد الغدّامي (المرأة واللغة)، ط2، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، 1997 م: 27،21،8،9-111.
- 7- سارة جاميل،تر: احمد الشامي،(النسوية وما بعد النسوية)، ط1، المجلس الاعلى للثقافة، القاهرة، 2002 : 210،212.
- 8- فاطمة حسين عيسى العفيف،(لغة الشعر النسوي العربي المعاصر، نازك الملائكة وسعاد الصباح ونبيلة الخطيب نماذج)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة جرش، 2010م: 78 .

- 9- كلير كرامش، تر: د. احمد الشيمي، (اللغة والثقافة)، ط1، وزارة الثقافة والفنون والتراث، قطر، 2010: 23، 19.
- 10- سهيلة سبتي،، (أشكال التميز في لغة الخطاب السردي الأنثوي)، موقع ديوان العرب، الثلاثاء 4 أيار، 2010، مقال من شبكة المعلومات، <https://www.diwanalarab.com/spip.php?article23264>
- 11- فاطمة المحسن، (خطاب الأنوثة في الشعر واشكالية التعبير عن الذات. الكتابات النسائية الشابة: صوت العاطفة الجديدة)، مجلة الحياة، 30 يونيو، 1997، مقال من شبكة المعلومات، www.alhayat.com/article/1889385
- 12- د. سهام عبد الوهاب الفريح، (الجواري والشعر في العصر العباسي)، ط1، شركة الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، 1981م: 187.
- 13 - صلاح الدين خليل الصفدي، تح: احمد الارناؤوط وتركي مصطفى، ط1، (الوفاي بالوفيات)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2000م: 16/ 346.
- 14- درحاب عكاوي، (ديوان عليّة بنت المهدي)، ط1، دار الفكر العربي، بيروت ، لبنان، 2004م: 41، 45
- 15- أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه)، ط5، دار الجيل، 1981: 2/ 124.
- 16- ابو الفرج الاصفهاني، تح: د. جليل العطية، (الاماء الشواعر مخطوط جديد لصاحب الاغاني)، ط1، دار النضال للطباعة والنشر، 1984م: 119- 120
- 17- د.سعد ضناوي، (ديوان عنان الناطفية)، ط1، دار صادر بيروت، 1998م: 18
- 18- احمد بن ابي طاهر طيفور، (بلاغات النساء)، ط1، مطبعة ادارة عباس الاول، 1908م: 103، 102، 106.
- 19- محمد معتصم، (المرأة والسرد)، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2004م: 9.
- 20- زهرة تعزيبين، والويزة شاريخ، (الذات في الكتابة النسوية اقاليم الخوف لفضيلة الفاروق دراسة نفسية اسلوبية)، رسالة ماجستير، جامعة عبد الرحمن ميرة، بجاية، الجزائر، 2014م: 39-40.
- 21- ابن حبيب النيسابوري، تح: د.عمر الاسعد، (عقلاء المجانين)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1987م: 279-280.
- 22- د. زينب عبد الكريم الخفاجي، (ظاهرة الزهد في العصر العباسي (أبو العتاهية نموذجاً))، مجلة كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، ع 27، 2016م: 304، 114.
- 23 - ناظم رشيد، (تاريخ الادب العربي في العصر العباسي)، ط1، دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، العراق، 1989م: 247، 76.
- 24- بشير يموت، (شاعرات العرب في الجاهلية والاسلام)، ط1، 1934م: 153

25- عبد الله بن محمد بن حمود التوبي، (شعر الاماء في العصر العباسي (خصائصة الموضوعية والفنية))، رسالة ماجستير، كلية العلوم والآداب، جامعة نزوى، تاريخ وصول الباحثين الى المصدر سنة 2019، 126.

26- د.مها فاروق عبد القادر، (الخطاب النقدي النسوي)، جامعة بغداد كلية التربية ابن رشد، مجلة ديالى، ع38، 2009م : 1،2.